باب الأدب والمطالعة

تعليق على مقالين

نشرت المقتطف الغراء بعددها الصادر في يونيو من هذه السنة ٤ مقالين نفيسين أحدهما لسعادة محمد جميل بيهم بك بحث وشرح فيه عن علاقة المشابهة بين حضارة مصر القديمة والبابليين والفنود وبين حضارة المكسيك قديماً . وكان أبحث طريفاً في موضوعه جداً . وأما المقال الثاني فهو بقلم الكاتب العلمي الفاضل عوض جنشي ، وفيه يؤكد القول بوجود الإدارة لا أشخاص . وفي ثنايا مقاله يشرح الكاتب كفاءته وصفاً عالياً لتواضع وصراحته بطريقته المعهودة في تبسيط الحقائق العلمية الجوهرية ، تلك الطريقة التي لا يتوانى عن ذكرها المقتطف والصحف العلمية المشهورة في العالم الغربي . وإني على غير تفكيري في تعليق على المقالين . وقد أكون على صواب أو أجدت منه .

﴿ مصر القديمة والمكسيك ﴾ بعد أن يستطرد سعادة الفاضل (محمد جميل بيهم بك) في شرح أوجه الشبه بين الحضارة المكسيكية التي شاهد بقاياها عياناً ، والتي وجد تقويمها وكتاباتها التي تشبه الطيور وظيفية وأوضاع أهلها تشبه أزياء المصريين القدماء ، ووجد آثار أهرامها تحاكي إهرامات مصر مع فارق قليل من حيث تسوية السطح ، بعد المقارنة الناصحة يقول سعادته : « ولعل أدوات الاتصال بين أجزاء الأرض في عهد قديم كانت أرقى من اليوم والمراكب فولت الأشرعة . وما يدرينا إذا كانت حكاية بساط الريح وليدة حقيقة أضاع الزمان معالمها ولم يأتِ منها إلا القليل على الألسن أصبح من قبيل أسطورة من الأساطير » .

وإني قبل أن أدلي برأيي أرى لزاماً أن أبدي رأي العلامة المرحوم الأب انستاس الكرملي ، فهذا أيضاً كتب في المقتطف مؤكداً أن العرب قد اكتشفوا أمريكا قبل كولومبوس . وكان دليله في ذلك وجود أسماء حيوانات ترجع بأصل تسميتها الى اللغة العربية مثل (الكنغر Kangaro) (الكانجرو) (الميم المصرية) فيقطع الأب هذه الكلمة الى كلمتين كان جرو) أي (كان جروا) . ومن طبيعة هذا الحيوان أن تكون اجراؤه في ذيله يحمله فينقلها حيث يشاء . وتعلم ترجمة العربية عند الأمريكيين القدماء لكلمة (الكانجرو) أي الى كلمة واحدة . ومن جملة من ردّ على الأب إنستاس برد مستفيض بالحقائق العلمية هو الأستاذ الفاضل (حنا خباز) وحتى إنه (حنا) يرى أن العرب قديماً يتشوفون البحر ولا يحبون على السفر فيه الى مسافات شاسعة نسبة . وقد استشهد على ذلك بقول شاعرهم .

لا أركب البحر إني أخافه منه المعاطب
طينٌ أما وهو ماء والطين في الماء ذاهب

ولكن رؤية صاحب المعادة (جميل بيهم بك) لحضارة المكسيك وعلاقتها بالشرق العربي تدعم الغرب والوقوف عند رأي الآب الستاس كما تجعل الفرد المدقق ينتجم الطرق للاستدلال على إمكانية اتصال الشرق بالغرب بالطرق البراصلات الراقية والطيالية كبساط الريح بل بطريقة أخرى ترد أصولها الى طبيعة العالم وقاراته في الأزمنة السحيقة في القدم . وهنا لا بد وأن يولي المرء وجهه شطر علم الفلك والجيولوجيا لمعرفة تطوُّر الأرض ومكان القارات بعضها بالنسبة لبعض ، وهل كان على ما هو عليه الآن ؟

يقول العالم (جورج داروز) إن القمر انفصل من الأرض وترك هوَّة عميقة تزحلق إليها قسم من الربع الباقي من الأرض . ويؤيده في قوله كثير من العلماء في وقته . ويقول العالم « فجنر » الألماني في تكوين القارات ، مستنداً إلى علم الطبيعة والجيولوجيا والنبات والحيوان أن في العصر الجيولوجي الثاني أي قبل ٥٠٠ مليون سنة كانت القارات كتلة واحدة وهي من العصور انقسمت الى كتلتين شرقية وغربية ، فالغربية تشمل الأمريكتين ، والشرقية الباقي . والقارة الكتلة الغربية وكأنها تسير طافية على مادة مائعة ، وفي أثناء سيرها غرباً تجمعت أقسامها الغربية بفعل المقاومة فكوَّنت جبال روكي الصخرية والأنديز وغيرها من جبال أمريكا المطوَّة التي بقيت بينها في البحار كهوَّة القمر التي كوَّنت (الباسيفيك) حسب رأي جورج داروز المذكور . وإن الناظر الى وجهها متجمعة حسب رأي (فجنر) ومتفرقة ليجد أن اسبانيا وغرب أفريقا يتداخلان لا بل يمكن أن ينطبقا بما فيهما من نتوءات مع شرق أمريكا الجنوبية وشرق أمريكا الشمالية حتى شمال المكسيك . وكأنما اسبانيا قد انقطعت من خليج المكسيك فتشبه بحجمها سدّاً له . وغربي أوروبا ينطبق على القسم الشرقي من أمريكا ، وشرق أفريقا من الشمال الى الجنوب يتصل بغرب آسيا واستراليا . ومن الثابت تاريخيًّا أن البحر الأبيض المتوسط كان عبارة عن مستنقعات تخللها أحراج النباتات والغابات وبعض الجبال وتسرح فيها عير الوحش والحيوانات الأخرى كفرس البحر . ولم يكن مضيق (سبتة) جبل طارق . ولكن في دور من أدوار الزمن انفتق هذا المضيق وتدفقت مياه الأطلسي شرقاً فكوَّنت البحر المتوسط ، وما بقي من رؤوس الجبال عبر الجزر الباقية الآن فيه كالأرخبيل اليوناني وقبرص وكريت وقورسيقا وسردقية وصقلية وجزر البالياو وغيرها . ومن هنا نترصل الى القول بأنه يمكن أن يكون الاتصال بين أمم العالم القديم بوساطة أصوات وطرق المواصلات البدائية لأن البرازخ الأرضية كثيرة وعمليات الجفاف

والغير مستمرة ومتبدلة من مكان الى مكان. وأن البحار لم تكن بهذه السعة ولكن عوامل التآكل والتعرية الجيولوجية هي التي أوصلتها بصورتها التوحيدية الى ما آلت اليه الآن. وإذن فلا مانع من تشابه الحضارات، وتبادل الكلمات، ولا غرابة إذن في مشابهة «بهم» و«الكرمل» على هذا الأساس. أما على أساس الرقي العقلي المزعوم فلا يعتقد الى التطور ولا الى العلم ولا الى حقيقة التطور الجسمي والعقلي في الانسان، إذ أن الانسان كما تنتهي به الى الوراء آلاف السنين نجد عقله منحطاً خلقة وتجربة لأنه أقرب الى الحيوان منه الى الانسان. فمن أين يأتيه الابتكار.

﴿الأشعة والموج﴾ لا شك اننا نعيش في بحر من الهواء كما نعيش الأسماك في بحر من الماء. فكل حركة من الكلام الى المشي تحرّك الهواء. وكذلك الاجرام في أفلاكها تموج ما حواليها من المادة اللطيفة. وأشعة الشمس وغيرها من الأجسام المشعة تصل الينا بصورة أمواج، فنحن نعيش على وسط الأثير. وكذلك الأشعة السينية وأشعة الأجسام المشعة كلها تسير بصورة موجية. وإذن فالكون كله أمواج في أمواج. وكثيراً ما تقرأ في الكتب هذه العبارة (أشعة اكس وهي موجات) (الأشعة اللاسلكية وهي أمواج) وأشعة الرادار هي أيضاً بدورها أمواج. وإذن فلا يوجد فاصل لسوء التعبير بين أشعة أو أمواج لأن الاشعاع معناه الانطلاق — من جسم مشع — لدقائق المادة أو الطاقة أو من جسم غير مشع، لكنه يحتوي على مادة تشعشع ضوءاً وحرارة وغيرها من صنوف الاشعاع فالرادار جهاز تنطلق منه أشعة لاسلكية وبما أن كل أشعة تسير سيراً موجياً فلا أرى اذا ما سميناها أمواجاً أو أشعة. هذا من جهة العلم. أما من جهة المجاز فيجوز أن أسمي الأمواج أشعة والأشعة أمواجاً لعلاقة المشابهة في القوام والسير. فكثيراً ما يقال يشع الفضل من أعطاف فلان أو تموج عواطفه رقة. وكذلك في قول الشريف الرضي

بروق تشعشع في سواد ذؤابتي لا أستضيء به ولا أستصبح

فسمي الشيب بالضوء مجازاً لعلاقة المشابهة. وكذلك في قول المتنبي:

قامت تظللني من الشمس نفس أعز عليّ من نفسي
قامت تظللني ومن عجب شمس تظللني من الشمس

فاحدى الشمسين كما هو ظاهر (قرد) والشمس الثانية حقيقة، وأكثر التسمية في اللغة العربية على المجاز اللغوي وقواعده. وعليه إني أرى أنه لا يغير العلم اذا ما قال واحد أشعة الرادار أو أمواج الرائد اللاسلكي لأن الأشعة أمواج علماً ومجازاً.

الفورقة — البصرة نشير العمر